﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾

[الملك: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ذكر مصير الخلقِ إلى أمرهم بمراقبة الخالق

لمّا ذكرتِ الآيات السّابقة حال الفريقين في الآخرة؛ ناسب خطابَ الجميع بأنَّ إسرارَهم وجهرَهم بأقوالهم ومعتقداتِهم سيّان، فإنَّ الله تعالى عليمٌ بذات الصُّدور، مطّلِعٌ على السّرائر، عالمٌ بالبواطن، فإنَّ مآل العباد يوم القيامة وحسابَهُم سيكون بميزان الله تعالى، واطّلاعه على العباد، لا بما يظنّون من الجهر دون الإسرار أو العكس، وهي دعوةٌ إلى مراقبة الله تعالى في السِّرِّ والعلن؛ لاستواء الأمر عندهُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَسِرُّواْ﴾: الإسرارُ: إخفاءُ الشَّيء وكتمانُه[1]، يقال: أسَرَّ إليه حَديثًا، أي: أفْضى بِهِ إليه في خُفْيَة[2]، وأصل (سرَّ) يدلُّ على إخْفاءِ الشَّيء[3]، والإسرارُ خِلافُ الإعلانِ، والمَعْنى: أخفوا قَولَكُم وكلامَكُم أيُّها النّاسُ[4].

2) ﴿ٱجۡهَرُواْ﴾: (جهر) تدلُّ اشتقاقاتُه على إعلان الشَّيءِ وكشفِهِ وعُلوِّهِ[5]، يُقال: جهرَ الكلامَ، وجهرَ به، فيكون لازمًا ومتعدّيًا، بمعنى: أعلَنَه، وأعلنَ به[6]، ورجلٌ جَهيرُ الصّوتِ، أي: عاليه، والجهرُ: العلانيَةُ[7]، ومعنى ﴿ٱجۡهَرُواْ﴾ في الآيةِ: أعْلِنوهُ، وأظْهِروه[8].

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (سرر).
(2) الرّاغِب، المُفْردات، والسّمين، عُمْدةُ الحُفّاظ: (سرر).
(3) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة: (سرّ).
(4) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 511، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 214.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جهر).
(6) الزَّبيديّ، تاج العروس: (جهر).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (جهر).
(8) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 511، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 214.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سـرائـرُ العـباد وعـلانـيَّـتُـهـا في علمِ اللهِ تَعالى سواءٌ

تُخبر الآية الكريمة النّاسَ بطريق الأمر الإنشائيِّ المفيد للتّسوية، بأن يَصْنَعوا ما يريدون من إسرار الأقوال أو الجهر بها، فإنَّ الله سُبحانَهُ مُطَّلِعٌ على الضَّمائرِ، وهو عليمٌ بما في قُلوبِ العِبادِ، فإنَّ السِّرَّ والجَهرَ عنده سواءٌ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواو ودلالتُها:

الاسـتـئـنـافُ والعطفُ دالّانِ على الانتقالِ مِن غرَضٍ إلى آخرَ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، إمّا أن تكون عاطفةً غرضًا على غرضٍ، على سَنَنِ البيان القرآنيِّ في إحكام المُناسبة، فقد جاء عقب حكايةِ أقوالهم يوم القيامة؛ ليُنْتَقل إلى أقوالِهم في الدُّنيا، وهي ما كانوا يتناجَون به، أو يُعْلِنونه في النَّيل مِن رسولِ الله ﷺ، وذلك على القول بأنَّ الخطابَ مُتَوَجِّهٌ إلى الكُفّار[2].

وعلى القول الآخر؛ فإنَّ الخطاب عامٌّ لجميع الخلق في جميع الأقوال والأعمالِ، فسواءٌ أخفيتُم أعمالَكم أم أظهرتُموها، فالأمرُ عند الله تَعالى سواءٌ؛ إذ عِلْمُه محيطٌ بالسَّرائر والعلانيَة، فيكون العطفُ هُنا لتقرير شمول عِلْمِ الله تعالى، وتحذيرِ العباد من المعاصي في السِّرِّ، كما يُحَذَّرون منها في العلانية؛ إذْ لا خَفاءَ على الله سُبحانَهُ في شيءٍ منها[3].

ويَحْتَمِل أن تكون الواوُ استئنافيّةً؛ باعتبار الانتقالِ مِن الإخبار عن مصير الخلائقِ في اليوم الآخر، إلى خطاب النّاس في الدُّنيا، وهو قريبٌ في المعنى من القولِ بعَطْفِ الغرض على الغرَضِ.

(1) ابن عطيَّة الأندلسيّ، المحرَّر الوجيز: 5/ 340، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 876.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 29، 30.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 589، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 312.

غرَضُ التَّعبير بفعل الأمرِ ودلالتُه:

غرض الأمرِ التّسويةُ، وهو دالٌّ على التَّهديدِ والوعيدِ

جاء استعمالُ صيغةِ الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾؛ للتَّسويةِ بين الأمرين، أي: لا فرقَ في عِلْمِ اللهِ تَعالى بين ما تُسرّونه، أو تجهرون به، فاللَّفظ لفظ الأمرِ، والمراد به: الخبرُ المتضمِّنُ للتَّهديدِ والوعيد[1]، وقد جاء الخطابُ للجمع إشعارًا بأنَّ هذا الحكم شاملٌ لجميع المكلّفين، لا يَخرُجُ منه أحدٌ، أمّا التَّضعيف في فعل (أسِرّوا)؛ ففيه معنى المُبالغة في الإخفاء، أي: لو بالَغْتُم في الكِتْمان غايةَ ما يُمْكِن؛ فإنَّ عِلْمَ اللّه تَعالى مُحيطٌ بكم[2]، وتنبيهًا إلى أنَّ معصيتَهُ في الخفاءِ كمَعْصيَتِه في العلانية؛ إذ لا يَخْفى عليهِ شيءٌ[3].

سِرُّ انتخابِ (القول) دون الكلام:

التَّعبيرُ بالقولِ أبلَغُ في شُمولِ الدَّلالةِ

آثر النَّظم الكريمُ استعمالَ مُفردَةِ (القول)، في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ دون (الكلام)؛ لعُموم القولِ؛ إذ يُطلَقُ على المفرد والمركَّب من الكلام، فكان التَّعبيرُ بالقول أبلغَ في شمول الدّلالة[4].

دلالةُ إفراد لفظِ القَوْلِ:

أُفرِدَ لفظُ القول ﴿قَوْلَكُمْ﴾؛ ليشمل الجنسَ كلَّه، قليلَهُ وكثيرَه، خيرَهُ وشرَّه؛ ليكونَ الخطابُ أعمَّ وأشملَ[5].

نوع الإضافة ودلالةُ التّعريف بها:

القولُ الصّادرُ عن النّاس في الدّنيا هو مجموعُ معتقداتهم الّتي يُعرَفون بها

أُضيفَ لفظُ القولِ إلى ضمير المخاطَبين ﴿قَوْلَكُمْ﴾، وهي إضافةٌ بمَعْنى اللّام، أي: الأقوال الّتي صدرت عنكم إسرارًا فيما

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 213، والقونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 19/ 199، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 30.

(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 579، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 6، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 30، ومأمون حمّوش، التَّفسير المأمون: 8/ 133.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 589.

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 261.

(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 242.

بينَكم، أو جهرًا على مَسامِعِ الآخرين، والمراد: القولُ الَّذي يخصُّكم فيما ستُحاسبون عليه يوم القيامة.

ونُكتةُ التَّعريف بالإضافةِ إقامَةُ الحُجَّة على المخاطَبين بأنّه قولُهم الصّادرُ عنهم في الدُّنيا، والَّذي اختصّوا به من مجموع المعاني والحقائق والمُعتَقَداتِ الَّتي تُجمع في قولٍ واحدٍ يُحاسَب عليه النّاسُ يوم القيامة، فهو كالعُنوانِ العريضِ الدّالِّ على المُعتَقَدِ.

توجيهُ تخصيصِ القَوْلِ بالذِّكر:

التَّنبيهُ بالأخْفى على الأظْهَر

آثر النّظم الكريمُ تخصيصَ القول بالذّكر دون الفعلِ، في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾؛ وذلك لأنَّ القولَ أخصُّ في باب الخفاءِ، وأدقُّ في باب الكِتْمان؛ فإذا كان اللّهُ تعالى لا يخفى عليه ما يُسرُّه العبدُ من حديثِ نفسِه، أو يُخفيه في مَنْطِقه، فالفعلُ أولى وأحرى أن يكون داخلًا في علمِه سُبحانه، فجاء الاكتفاءُ بذِكْرِ القَوْلِ؛ ليدلَّ على ما هو أعَمُّ وأشملُ بطريقٍ أولويٍّ، فالقولُ أخفى من الفعلِ؛ فاكتُفيَ به عنه[1]، فهو من بابِ التّنبيه على الأظهَرِ بالأخفى، فإذا استوى إسرارُ القولِ وجهرُه في عِلْمِ اللّهِ تعالى؛ فالفعل أولى بالعلْم، وذلك فيما تُدركُه أذهانُ البَشر، وإلّا فكلُّ ذلكَ سواءٌ في عِلْمِ العليمِ الخبير.

تعيينُ مرجِعِ الخطاب:

توجَّهَ الخطابُ في ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ إلى عموم الخلق؛ ليُفْصِحَ عن شمولِ عِلْمِ اللّه بالأقوال والأعمال الظّاهرة والباطنة الصّادرةِ عن جميع المكلَّفين.

وجهُ العطف بـ ﴿أَوِ﴾ ودلالتُه:

إســـرارُ الـقـول والجهرُ به سواءٌ في عِـلْـمِ الـلـه سُبحانَهُ

العطف بـ ﴿أَوِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ جاء للتَّسوية، ومِنْهُ ومِن السّياق جاء تعيينُ غَرَضِ الأمر بأنّه للتّسوية كذلك؛ إذ عُطِفَ الفعلُ (أسرّوا) على نقيضه ﴿ٱجْهَرُواْ﴾؛ ليدلّ على

(1) البالِيسانيّ، حسن البيان: 6/ 2606.

أنّ السِّرَّ والجهر في علم اللّه تَعالى سواءٌ؛ ردًّا على زعم المشركين أنّ الإسرار يخفى عليهِ، فبيَّنَ سبحانه أنّه لا يخفى عليه شيءٌ، فيعلمُ خائنةَ الأعيُنِ وما تخفي الصُّدور[1].

بلاغة استعمالِ مفردة ﴿ٱجۡهَرُواْ﴾ مادَّةً وصيغة:

الجمعُ بينَ أعلى مراتبِ الكلامِ وأدناهُ؛ ليشْمَل جميعَ ما بينَهُما

غرض فعل الأمر ﴿ٱجۡهَرُواْ﴾ التَّسوية بينه وبين الأمر بالإسرارِ لا لطلب الفعلِ، والجهر في أصل معناه: رَفْعُ الصَّوت بالقول حتى يَسْمَعَهُ مَن حول القائل[2]، فاختياره هُنا يدلُّ على أنَّ أظهر مراتب الكلام لا يَخْرُجُ عن عِلْمِ اللّهِ تَعالى، كما لا يَخْرُجُ عنه أخفاه، فهو جمعٌ بين أدنى كلامٍ يُسِرُّه العبدُ لغيرِه، وبين أعلى كلامٍ يَجْهَرُ به العبد، فيدخل في ذلك ما بينَهُما من مراتبَ؛ لأنَّ القاعدةَ المتقرِّرةَ: أنَّ البَيْنَ مُسْتَحْضَرٌ في الطَّرفين.

فنُّ الطِّباق ودلالتُه:

بيانُ سَعَةِ عِلْمِ اللّه تعالى وإحاطتِه

جمَع النَّظم الكريم بَيْنَ ذِكْرِ الإسرار والإجهار، وهو طباقُ إيجابٍ[3] يُبْرِز التَّقابلَ بين أدنى مراتب الخفاء وأقصى مراتب العلانية، وهو تقابلٌ يُفيد شمولَ علم اللّه تَعالى للطَّرفين وما بينَهما.

نكتةُ تقديمِ السِّرِّ على الجَهْرِ:

تقديمُ الأخفى كاشفٌ عن تمام القُدْرَةِ وعظيمِ الإحاطة

قُدِّم ذكرُ السِّرِّ على الجهر في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۚ﴾؛ لأنَّ الإسرار هو الأعنى بالكشْفِ والبيان، ففيه إيماءٌ إلى افتضاحِهم منذ اللَّحظةِ الأولى، ووقوعِ ما كانوا يَحْذَرون، وهو في الوقتِ نفْسِهِ مُبالغةٌ في تقرير شمولِ علمِه سُبحانه، وإحاطته التّامة بجميع المعلومات، فكأنَّ علمَهُ بما يُخْفونَهُ أقدَرُ منهُ بما يُعْلِنونهُ، مع أنَّ الأمر في الحقيقة سواءٌ[4]، ومرتبةُ السِّرِّ سابقةٌ على مرتبة

(1) عطيّة سالم، تتمَّة أضواء البيان: 8/ 236.
(2) الميدانيّ، معارج التَّفكُّر: 14/ 623.
(3) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 48.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 6، والقنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 238.

الجهر، فما مِن كلمةٍ تُقال علنًا إلّا وقد سبقها في القلب خاطرٌ أو معنًى مكتومٌ، فيتعلَّق به الإسرارُ أوَّلًا، ثُمَّ يَخرجُ إلى الجهر ثانيًا، فعِلمُ اللّه تعالى به في حالِه الأولى سابقٌ لعلمه به في حالِه الثّانية، وإنْ كان كلُّ ذلكَ عندهُ على حَدٍّ سواءٍ[1].

بلاغةُ التَّوكيد في جملة الفاصلة:

تـوكـيـدُ جملة التَّعليلِ دفعٌ لبقايا الظنّون

كان المشركون يعتقدون أنَّهم إذا أسرُّوا القولَ؛ فاللّهُ تَعالى لا يعلمه، فبيَّنت الآيةُ أنَّ إسرارَ القولِ والجهرَ به على حدٍّ سواء، فاللّه سُبحانَهُ يعلمه، وجاءت جملةُ الفاصلة: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ مؤكَّدة بـ (إنَّ)؛ ليكون ذلك أوكَدَ في إبطال ظنِّهم، وأبلغَ في تقرير إحاطة علمه ﷻ، وجاء هذا التَّوكيدُ تعليليًّا تقريريًّا؛ للتَّسوية المستفادة من صيغة الأمر ومن دلالة ﴿أَوِ﴾؛ لأنَّ عِلْمَهُ تعالى بما في الصُّدور هو السَّببُ في تساوي السِّرِّ والجهر عنده سُبحانه، فعِلْمُه تعالى محيطٌ بما يَخْتَلِجُ في صدور النّاس بَلْهَ ما يُسِرّون به من الكلام[2].

تعيينُ مرجع الضَّمير:

رُبَّ مضمرٍ أقوى حـضـورًا مـن مُظْهَرٍ

الضَّمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ عائدٌ إلى اللّه سبحانه، وهو معلومٌ من المَقام[3]، فلا حاجة إلى التَّصريح بالاسم الأحسَن (اللّه)؛ إذ حُضورُه في ذِهْنِ السّامع أوضحُ من أن يُنصَّ عليه، وفي ذلك إشعارٌ بعِظَم المعلوم وظهور شأنه، وقد آثرَ النّظمُ الكريمُ الإضمارَ دون الإظهار؛ للإشعارِ بأنَّ الضَّمير يعود بديهةً إلى واحدٍ أحدٍ دون سواه، فأتى على الأصل، ولو أُظْهِر؛ لاحتملَ الكلام أن يكون على التّأسيس في ابتداء كلام لا سابقَ لَهُ في الأذهان، فكأنّه قيل: إنّه الَّذي تعلمونَهُ، فهو العليمُ بِذاتِ الصُّدور.

---

(1) المنصوريّ، المقتطف من عيون التَّفاسير: 5/ 286.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 6، والقونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 19/ 199، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 30.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 30.

دلالَةُ التَّعبير بصيغةِ ﴿عَلِيمُۢ﴾ منكَّرًا:

جاء وصفُه تعالى بـ ﴿عَلِيمُۢ﴾ على وزن (فَعيل)، وهو مِن صيَغِ المبالغة؛ ليدلَّ على كمال علمه وشمولِ إحاطته بما يُضمِرُه النّاسُ في قُلوبِهم، وما يُخْفونَهُ مِن أسرارهم المُستكنّة في الصُّدور، وجاء اللَّفظُ مُنَكَّرًا للتَّفخيم والتَّعظيم، أي: عليمٌ عظيمُ العلم، لا يعزُبُ عن علمِهِ دقيقٌ ولا جليل، سرٌّ ولا جهر، فهو سُبحانه محيطٌ علمًا بجميع الخلائقِ ظاهِرهم وباطِنهم[1].

عِلْمُ اللهِ تعالى لا تُحيطُ به الأذهانُ، ولا تستوعِبُه عقولُ الأنامِ

نُكتةُ ذِكْرِ لفظِ (ذات) دون الاكتفاءِ بلفظِ ﴿ٱلصُّدُورِ﴾:

جاء التَّعبير القرآنيُّ بـ ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ دون: (ما في الصُّدور)؛ إشارةً إلى ما يَخْتَلِجُ في النَّفس من خواطرَ وتقديراتٍ، وعزائمَ ونيّات تتعلَّقُ بالأعمال، ولفظة (ذات) - وهي مؤنَّث (ذو) بمعنى: صاحب - تُفيدُ المُلازمةَ والاختصاصَ، فكأنَّ الصُّدور قد اقترنَتْ بِما تَحْويهِ مِن خَفايا اقترانِ الذّات بصاحِبِها، لا تنفَكُّ عنها، ولا تَنْفَصِل، وفي إضافةِ (ذات) إلى ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ تعظيمٌ لشأن ما تَشْتَمل عليه الصُّدورُ من أسرار؛ إذِ الأصل في "ذو" أن يُضاف إلى ما فيه شأنٌ وخطَرٌ، فجاء التَّعبير أبلغَ في الدّلالة على كمال إحاطة علمِ اللّه تَعالى بِما يُلازم القلوبَ مِن نيّاتٍ ودقائقَ لا يطّلعُ عليها غيرُه[2].

الإشارةُ إلى ما يَختَلِجُ في النَّفس مِن خواطِرَ وتَقْديراتٍ، وعزائمَ ونيّات

ويُحتمَلُ أن يُراد بذات الصُّدور القلوبُ الَّتي في الصّدور، وما تحويه من نيّات ومقاصِدَ، فيكون المعنى: إنَّ اللّهَ تَعالى عليمٌ بالقلوب وأحوالها، لا يخفى عليه سرٌّ من أسرارها، وجميعُ أقوالنا وأفعالنا جهرٌ مِنّا بين يديهِ[3].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 6، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 15، والقنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 238.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 15، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 30.

(3) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 15/ 1059، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 15، والقنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 238.

دلالَةُ تعريف ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ وجمعِه:

استغراقُ جميع الـصُّـدورِ بما تنطوي عليه من مُضْمَراتٍ

جيء بـ ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ معرَّفةً باللّام المفيدةِ الاستغراقَ؛ إشارةً إلى شمولِ علْمِ اللّه تعالى لِكُلِّ ما تنطوي عليه صدورُ النّاس أجمعين من مُضمراتٍ وخفايا، ثُمَّ جاء جَمْعُها؛ ليدُلَّ على التَّعميم، فلا يَخْرُج صدرٌ عن علمِه، ولا يَغيب قلبٌ عن إحاطته، وهي على اختلاف درجاتِ أصحابها في الكُفْرِ والإيمان، فإنَّ اللّهَ تَعالى عليمٌ بها، مطَّلعٌ عليها.

بلاغةُ التَّذييل بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

تـقـريـرُ سَـعَـةِ علمِ الله تعالى وتثبيتُه

قول اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ جاء تذييلًا لما قبلَهُ وتعليلًا له؛ إذْ بُني الحكمُ على علّته، وتقرَّر به أنَّ الإسرارَ والجهر سواءٌ عند اللّه ﷻ، فقد اشتمل هذا التَّذييل على صيغة (فعيل)، الدّالة على المبالغة، وعلى تعريف الصُّدور بلام الاستغراق، وعلى وصفها بـ (ذات) الدّالة على المُلازمة، وفي كلِّ هذا مِنَ الجزالة والبلاغة ما لا مزيدَ عليه، فكان المعنى: إنَّ اللّه سبحانه محيطٌ علمًا بكلِّ ما تُخفيه الصُّدورُ من خواطرَ ونيّات وأسرارٍ مستكنَّةٍ لا تُفارقُها، فكيف يخفى عليه ما تُسرّونه، أو تجهرون به، فهو تعليلٌ بالأشدِّ خفاءً على الخفيِّ؟[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السِّرّ والنَّجْوى:

الـسِّـرُّ أعـمُّ من النَّجوى، وأشدُّ منه خفاءً

السِّرُّ في أصل اللُّغة: إخفاء الشَّيء وكِتمانُه، وأمّا النَّجوى؛ فهيَ إسرارُ الحديثِ، وبهذا تكون النَّجوى أخصَّ من السِّرِّ؛ لكونها خاصَّة بنوعٍ واحدٍ مِنَ الإخفاء والكِتْمان، وهو إخفاءُ الحديثِ دون غيرِهِ.

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 579، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 6، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 225، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 30.

والسِّرُّ لا يتجاوز صاحبَه، بخلاف النَّجوى فإنَّها تتجاوزُه إلى غيره، فهيَ ما اطَّلعَ عليه بعضُ النّاس دون بعضٍ، فالسِّرُّ أشدُّ خفاءً من النَّجوى.

وقد ذُكِرَ السِّرُّ في القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة: 274]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: 235]، والسِّرُّ هنا: قُرْبانُ المرأة ونكاحُها؛ لأنَّ ذلك لا يكون في العَلَنِ.

وأمّا النَّجوى؛ فقد وردت في مواضعَ، مِنْها قولُ الله تعالى: ﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: 114]، وقوله سُبحانَهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: 7].

وقد جُمِعَ بين السِّرِّ والنَّجوى في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ [التوبة: 78]، وهذا يظهَرُ بجَلاءٍ أنَّ لكلٍّ منهُما مَعْنًى يختَلِفُ عن الآخر، فالسِّرُّ: ما يُخْفيهِ الإنسانُ، ويُضْمِرُه في نفسِه، فلا يطَّلِع عليه أحَدٌ، وأمّا النَّجوى؛ فهي المحادثَةُ بخَفاءٍ، وقد عُطِفَت النَّجوى على السِّرِّ مع كونه أعمَّ منها؛ لتَنْبيههِم باطِّلاعِهِ على ما يَتَناجَوْنَ بهِ مِنَ الكَيْدِ والمَطاعِن.

والحاصلُ أنَّ بين السِّرِّ والنَّجوى تقاربًا دلاليًّا؛ لاشتراكِهما في الإخفاءِ والكِتْمان، إلّا أنَّ السِّرَّ أعَمُّ من النَّجوى؛ لكونه يعمُّ الحديثَ وغيرَهُ، بخلاف النَّجوى فإنَّها مخصوصَةٌ بالحديثِ الخَفيِّ.

كما أنَّ السِّرَّ أشدُّ خفاءً مِنَ النَّجوى؛ لأنَّ النَّجوى يَطَّلِعُ عليها بعضُ النّاس، بخلاف السِّرِّ فلا يطَّلع عليه غيرُ صاحبِه[1].

الإسرارُ والإخفاءُ:

الإخفاءُ: السَّترُ والتَّغطيةُ، والخَفاء: ما يُستَرُ به كالغطاء[2]، وأخْفَيْتُ الشّيءَ: سَتَرْتُه، وكتَمْتُه، وخَفَيْتُه: أظْهَرْتُه، فهوَ مِنَ الأضداد، وأخفى الصَّوتَ: كَتَمَهُ، ويَقولونَ: بَرِحَ

(1) محمد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 292 - 294.
(2) الرّاغب، المُفردات، ص: 290، والسَّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 518.

الخَفاءُ، أيْ: وضَحَ السِّرُّ، وبَدا[1]، ونقيضُ الإخفاء العلانية، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ [إبراهيم: 38][2]، وما هو أخفى من السِّرِّ يُسَمَّى خِفْيةً وخَفاءً، قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾ [النمل: 25]، فالخَبءُ هو المخبوءُ والمَخفيُّ الّذي لا يعلمُهُ إلّا اللّهُ تعالى، ولهذا قالَ اللّهُ تعالى في نهايةِ الآية: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾ [النمل: 25] دون (يعلم ما تُسِرّونَ، وما تُعْلِنونَ)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾ [آل عمران: 5]؛ لأنَّ الخفاءَ أدقُّ مِنَ السِّرِّ، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه: 7]، أي: يعلمُ ما هو أخفى من السِّرِّ.

السِّرُّ ما استودِع في النَّفس، أمّا الخِفية؛ فهي أخفى من السِّرِّ

كما أنَّ السِّرَّ ما يصحُّ أنْ يَقعَ فيه إسرارٌ إلى غَيرِكَ، وأمّا الخِفيةُ؛ فهو ما خَطَرَ بالبالِ ممّا لا يقعُ منه إسرارٌ، ولا يُتفَوَّهُ بِهِ[3]، فالإسرارُ قد يكونُ في النَّفْسِ، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: 77]، وقد يكونُ إلى غيرك: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: 3]، وأمّا الخِفيةُ؛ فلا تكونُ إلى غَيرِك، بل تكونُ في النَّفسِ أو في الصَّدرِ، ولهذا جاءَ في الآيةِ: ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧﴾ [البقرة: 77]، والسِّرُّ ما يكونُ في النَّفْسِ متحصَّلًا ممّا لمْ يُعلَنْ بِهِ، والخَفاءُ ما يكونُ في النَّفسِ ممّا يُستأنفُ في المُستقبلِ[4]، كما أنَّ الخفية هي: "ما يَتَكَلَّمُ اللِّسان مِن حَديثِ النَّفْسِ ونَحوِهِ مِنَ الأصواتِ الَّتي هيَ أخْفى مِن كَلامِ السِّرِّ"[5].

الجَهْرُ والإعلانُ:

الإعــلانُ قصدُ إظـهـارِ الـكـلامِ وإيـصـالـهِ، ولا يُشترط ذلك في الجهر، بل هو رفعُ الصّوت

هُناك تقاربٌ دلاليٌّ كبير بين لفظَي الجهر والعلن، فكلاهما

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خفي).
(2) ابن عبّاد، المُحيط في اللُّغة، ومحمَّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (خفي).
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 5.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 4/ 37.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 191.

فيه معنى الظُّهور، ولذا يُعرَّف أحدُهُما بالآخر في اللُّغة، فمعنى جَهَر: أعلن، ومعنى الإعلان: المُجاهرة[1]، ومع هذا التَّقارب فقد فرَّق العُلماء بينهما؛ إذ ذَكَرَ العسكريُّ: "أنَّ الإعلانَ خلافُ الكِتْمان، وهوَ إظْهار المَعْنى للنَّفس، ولا يَقْتَضي رَفْعَ الصَّوْت بِهِ، والجهرُ يَقْتَضي رفع الصَّوْت بِهِ، ومِنْه يُقال: رجلٌ جهيرٌ وجهوريٌّ؛ إذا كانَ رفيعَ الصَّوْت"[2]، والعَلانيَةُ: ضِدُّ السِّرِّ، وأكثر ما يُقال ذلك في المعاني دون الأعيان[3]، وأصْل الجَهْرِ ظُهورُ الشَّيءِ بإفراطٍ، إمّا بحاسَّة البصر، كرأيتُه جِهارًا، أو بحاسَّة السَّمع، نَحْو: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ [طه: 7][4].

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (جهر)، (علن).
(2) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 287.
(3) الرّاغب، المُفردات: (علن).
(4) الرّاغب، المُفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (جهر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"